# صدى اليوبيل

## Echos du Jubilé .

حضرة الاب انستاس الجزيل الاحترام :

تاخ لساني في ساقته من تمثيل اختيال نفسي تيها واعتزازا بما انهال على مواهبكم العلمية من الثناء الخالد في يومكم اليوبيلي الزاهر الذي حفل به المتأدبون وارباب الفضل والعلمية ، تقديرا لمؤونة الشاقة التي عانيتموها بارصادكم كل مطامعكم النفيسة لما هالها حامت عليه اماني الخاصة من الجهالة وتخاذلت عن خواطركم . من مزاولة الخشن الباحث الادبية مركبا . وابعدها مطلبا ، واخفاها مدبا . قصد تعهد بزتها وسائر ما ترفل به من متبرجاتها بالاحياء والتجديد ، حتى استبطنتم من آثار متشوفات الخلائق ما بعد في حد الخوارق ، على ما المحت اليه في خطابي السابق (١) ؛ ليشف ذلك عن ترنح وجداناتي الخفية ، بنشوة هذه النهضة العلمية العراقية ! وإلّا فان محاولتي الايماء الى ما ادركني من مثل هذه الحال على ذلك الاثر ، اتخيلها كافية لتنم لكم عن العوامل الخلابة التي بدهت بها نفسي لدى اطلاقي لزائد طرفي ، التبسط في مناحي ما اكتنظ به الجزء الاول من السنة السابعة من مجلتكم المثيمة ، وهو الجزء الذي سيخلد لعراقنا ذكرى هذه المأثرة الجلى » من تصوير محيا ذلك الحفل الحافل ، وشأوه من الترتيب والنظام البالغ ، وما اجلى عليها من مجالي غرر التقاريظ المنثورة والمنظومة ذات الصناعة الرشيقة ، والفرائد المختارة المتناسقة ، التي تدفق سيل طلاوتها في ذلك المرج الادبي النضير ، مرج هيفائنا اليعربية (٢) من تفضح في حسنها بدر السماء المنير ، من مناضح القرائح التي تضافرت من كبد العراق ، وعيون الآفاق ، من مشارقة ومستشرقين ، حول المغالاة والاحتفاء بمن قد استهواه جمالها ، واستأسره

(١) انظر جزء اليوبيل ص ٤٨ .

(٢) نسبة الى يعرب الذي اليه تنسب العرب على ما ثبت المحققون وهو الذي يدعى عندها باسم قحطان .

دلالها وجلالها : اذ لم يكن من عاقبة شانه واياها إلّا ان افضت اليه بمقاليد كنوزها وكاشفته باسرار نشوئها وتحليل آثارها ورموزها : فطفق يبسط لعين الفكر من بدائها ، ما لا تكاد تبصره عين الحس من مرتجلاتها (١) ومطارفها ، حتى اضاء علينا من انوار تفننه باساليبها اللفظية والمعنوية الفذة ، ما وجدنا على ذلك الضياء انوار الهدى : ولا سيما في منتاج صبح هذا الدور الذي فيه ذر قرن الغزالة العربية على اهم اقطارها التاريخية ، وخصوصا عاصمتنا الاثيلة العباسية بعد ان توالت عليها مدلهمات الطوارق ، فتركتها متسكعة في ظلام غير مفارق استمر قرونا غير يسيرة لا يكاد يرى فيه ضوء الشفق العلمي البارق وذلك — ولا جرم — انطق دليل بان عنصر سلالتها الممتازة بطيب محتدها المتفردة بمحاسن اخلاقها وصفاتها وبديع تكوينها اذا اجمع الباحثون في الطبائع على ان لا ند لها في جميع الاجيال البشرية : لم يغنأ متسلسلا في دماء اعقابها ، يستفزهم الالتهام بمعالم حضارتهم المقطعة الاوصال والنياط ، ويستحثهم لان يقطعوا في الكر عليها اضعاف ما تقطع الاسلاف في سبيلها من الاشواط .

بل ان مازاد الاحتفال اجلالا واكبارا قرن صداه في صدور الاندية اعجابا واستبشارا : انتداب فخامة رئيس الوزراء آيته القرآء ، للاضطلاع باعباء هذا الحفل وتأليفه في باحة دار الغناء : وهل من عجب ان غدت هذه الباحة : باحة ابي الفصاحة (٢) ؟ لان الشيء لا يستغرب من معدنه .

على انه حري بي ههنا ان اجتزئ عما توخيت بيانه من الكلام — في موضوع هذا الاحتفال وما ينجم عنه من المؤثرات المعنوية ، والمقومات الادبية — بالالماع الى كلام الخطير الذي استشف من غضون ترجمتكم لدى تفصيلها لنا تعداد ما وفقتم لوضعه من التآليف النفيسة المختلفة المواضيع ، وما يتخلل بعضها من المباحث المبتكرة التي لم يسبقكم اليها سابق ، ولم يمر طيفها بمخيلة عالم محقق

(١) الالفاظ المرتجلة هي التي بدئ بها الوضع الصادر عن مجرد وحي الفكر في بادي الرأي .

(٢) قال صاحب القاموس : واقامت قريش بعرية فنسبت العرب اليها وهي باحة العرب وباحة دار ابي الفصاحة اسماعيل (عم) .

فجاءت مؤيدة لما اقره عالم العلم والادب من سمو فضائلكم في المراتب العلمية وبعد غوركم في البحث فيها قصد استنباط دقائق مفيداتها . فعسى ان تدب روح « الحمية العربية الخلقة » في بعض ذويه فتتألف منهم جمعية وطنية تهتم بابراز مكنونات هذه الدرر السنية من وراء سجفها توسيعا لنطاق العلم وتعميما للنفع ، وذلك اقتداء بالامم التي لاحت شمس العلم لامعة في كبد سمائها ، فتفتشت عوامل الحياة الحقيقية في اوطانها فأثرت في بنائها واخلاقها وطباعها وعوائدها لاستمرار فعلها وثبوت اثرها فيها بحيث امست لا تكاد تتوقع ظهور مصنف نافع إلّا اضافرت متنافسة على عقد الاتفاقات مع مؤلفه على طبعه فيتهافت القوم على اقتنائه ، وتتبارى الصحف والمجلات في نشر الوية الاطراء على ماضم من جلائل الاغراض بين دفتيه ؛ اذ هي انما تخدم بذلك نفسها اولا وبالتالي تكون ذريعة الى اضرام نار التفاضل في صدور علمائها الافسدام على موالاة الاكباب على التآليف الرائعة لئلا يأتي اليوم الذي تموت فيه قوى النفوس ؛ وإلّا فما اخلق وابر بحكومتنا الحكيمة التي لم يبق من لم يشعر بدبيب عناصر الحياة الفتية في كيانها على اثر تضافرها على ضرب اطناب العلم والمعارف في انحاء القطر كافة ، وتوفرها على الدأب في تنظيم خطة شؤونها على مثل الحكومات المتمدنة توصلا الى الاتقان والكمال ، من ان تنشط بنفسها لمبادرة هذا المطلب الحيوي المحض بالانفاق عليه من اموال البلاد « الى اجل » بما يتسنى لها رده على خزينة البلاد شيئا فشيئا ، وذلك تعزيزا لاقطابها في عيون الاوطان وسائر البلاد ، لما ان هذه التآليف القيمة لم تكن في شيء من مزيد المؤلفات المتداولة بالنقل والانتحال ، بل هي ثمرة الاخلاد والانقطاع الى المطالعة واستقراء دواوين علوم وآداب الالسنة واسفار التواريخ على تفاوت موضوعاتها وما يليها من متفرقات سائر العلوم والفنون جليلها ودقيقها وتمحيص حقائقها من مشتبهاتها واقرار كل فرع منها في نصابه . وبديهي ان هذا مما لا يستتب على ادراكه إلّا بترشيح السجية له منذ اول ادوار حياة الانسان الادبية فينشأ عليه ويعتاده ويتمو فيه بتموه حتى تتفعل به المواد المركب منها جسمه فيصبح كأنه قد فطر عليه ما هو شأن سائر الملكات المكتسبة للنفس ، وهذا أيضا مما لا يتم إلّا على تمادي الزمن وتطاول

الاجتهاد ، وافناء اشعة الابصار بالسهاد ،

وعلى ذلك فانني لم يبق لي التوسع في هذا الشأن الذي هو ولا ريب رأس شؤون الممالك التي بزغ عليها فجر التمدن العصري إلّا من باب تحصيل الحاصل ، لما يتخيل للخاطر من ان حكومتنا العزيزة الناهضة لمحاولة « المظفرة » تعمل لا محالة على الاخذ بمثل هذه الذرائع التي ترتفع بها مكانتها بين سائر الحكومات اليقظة النافذة الشوكة الثابتة السطوة ، ربة البصائر الضاربة في مذاهب العلم والاختراع الى ما وراء المدارك العقلية ؛ بل انها بهذا « تؤيد (١) » ما اجهرت به في مستهل تأسيس عرشها ، من تأهبها لاستعادة عصور عز بلادنا وحضارتها المندرسة . ألا وهي تلك الحضارة العباسية الوهاجة التي تقلصت اشعة سناها عن ربوعنا الشرقية . فكان الغرب جمع انوارها ، فاستضاءت امم بتلك الانوار فدهشت العقول والافهام بما كان من ورآء اشراقها من المكشوفات والاستنباطات التي تفوت الحصر لما بلغ القوم من الجد والمثابرة في البلوغ الى كل ما يتمثل للذهن ويمر في الخاطر من الغايات التي قد تظهر لطالبها في حد المستحيلات مما نهض بهم الى اسمى ذرا الفخر وعلى اثره اخذ يعمل العاملون ، غير ان الخواطر اذا طمحت الى استطلاع منشأ المؤثرات التي حملت في بادي الرأي انصار هذه المدنية على التنبه لبث طلائعها بين ظهرانيهم ، لم يكن لها محيد عن ضرورة الحكم بان مصدر علمهم يكن إلّا التقليد والانتحال تعديا بما يؤثر عن المأمون الخليفة العباسي من انه لما تراءى لعين حكمته ان قوام كل مملكة برجالها ، ولا رجال إلّا بالعلم ، لانه هو الذي يرهف اذهانها في سداد ، ويقوم خطاها في رشاد ، ويكسبها من صفات الرجولية ما يؤهلها لان تكون امة حية ذات بأس ونجدة تستطيع الدفاع عن نفسها في معترك الحياة صيانة لاستقلالها ، وذودا عن حوزتها ، — ما عتم ان هب هارعا الى ابراز هذه الفكرة من حيز القوة الى عالم الفعل ، فشد لها مئزر الاخلاص واندفع بعوامل قلما يحلم الدهر بمثلها اذ جمع اهم الطوائف العزيزة القدر من كتب اليونانيين والكلدان والفرس في الطب والحكمة والعلوم

(١) هذا رمز الى ما قاله ملك العراق في باحة كنيسة الكلدان اذقال : لقد مر ثمانية قرون على انقراض الحضارة العباسية فمهلوني ثمانية اعوام فاكفل لكم استعادة تلك الحضارة.

العلمية والرياضية وغيرها وعهد بترجمتها لها قوم من النساطرة الذين استدعاهم من اصقاعهم لهذه الغاية . لانه لم يكن اذ ذاك في الامة من يضطلع باستخراج هذه الكتب الى العربية وافرد لهم مكانا في بلاطه ووزع تلك الاعمال بينهم على مايحسنه كل فريق منهم الى آخر الحكاية المروية في موطنها من كتب الاخبار . إلّا ان حكومتنا النبيهة هي اليوم في غنى عن القيام بمثل هذه الشؤون الشاقة لانها كلها ميسرة ومعدة لها بلا تكلف ولا تعمل . ولم يبق لها إلّا ان تقضي بما حتمت به على ما قدمناه قريبا ، فهذا الحتم يدعوها اليوم الى الاعتداد والنزوع الى ما نحن بصدده ليستتب نفعه وتتحقق ثمرته .

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الاعتبارات السنية في نظر المدنية العصرية وفي نظر التاريخ الذي سيسجل بمداد الفخر هذه المأثرة لحكومة البلاد على حد تسجيله المأثرة المأمونية الآنفة الذكر . فسيسفر الامر عن حقيقة توثق صلة القطر العزيز بين زمنه الحاضر وتاريخه الغابر والله سبحانه ولي الاعانة والتوفيق .

مرسيليا في ٨ شباط ١٩٢٩ « ي . م »

حذف « من » بعد افعل التفضيل

قال الجوهري في باب « كبر » من مختار الصحاح « لا تقول هذا رجل اكبر حتى تصله بمن او تدخل عليه الالف واللام » قلت يجوز حذف « من » بعد « افعل » هي ومجرورها فتقول « هذا رجل عظيم وذاك رجل اعظم » و« انت كبير وعمد اكبر » . قال ابو العباس في كامله « ج ٢ ص ٢٣٣ » حول تفسير قوله تعالى « يعلم السر واخفى » ما نصه « وتقديره في العربية : واخفى منه . والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل « مررت بالفيل او اعظم » و « انه لكالبقة او اصغر » ولذلك جعل لقول الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتـا دعائمه اعز واطول

وجهين احدهما انه اراد « بيتا دعائمه اعز واطول من بيتك يامن اخاطبه » وهذا لعمر الفصاحة خير من تكلف النحويين ان معناه « عزيزة طويلة » لغرابته وطعنه القياس في صميم فؤاده .

مصطفى جواد